

فتنة البوح

ملاحم التجربة الشعرية للشاعر عبد العزيز المسلم

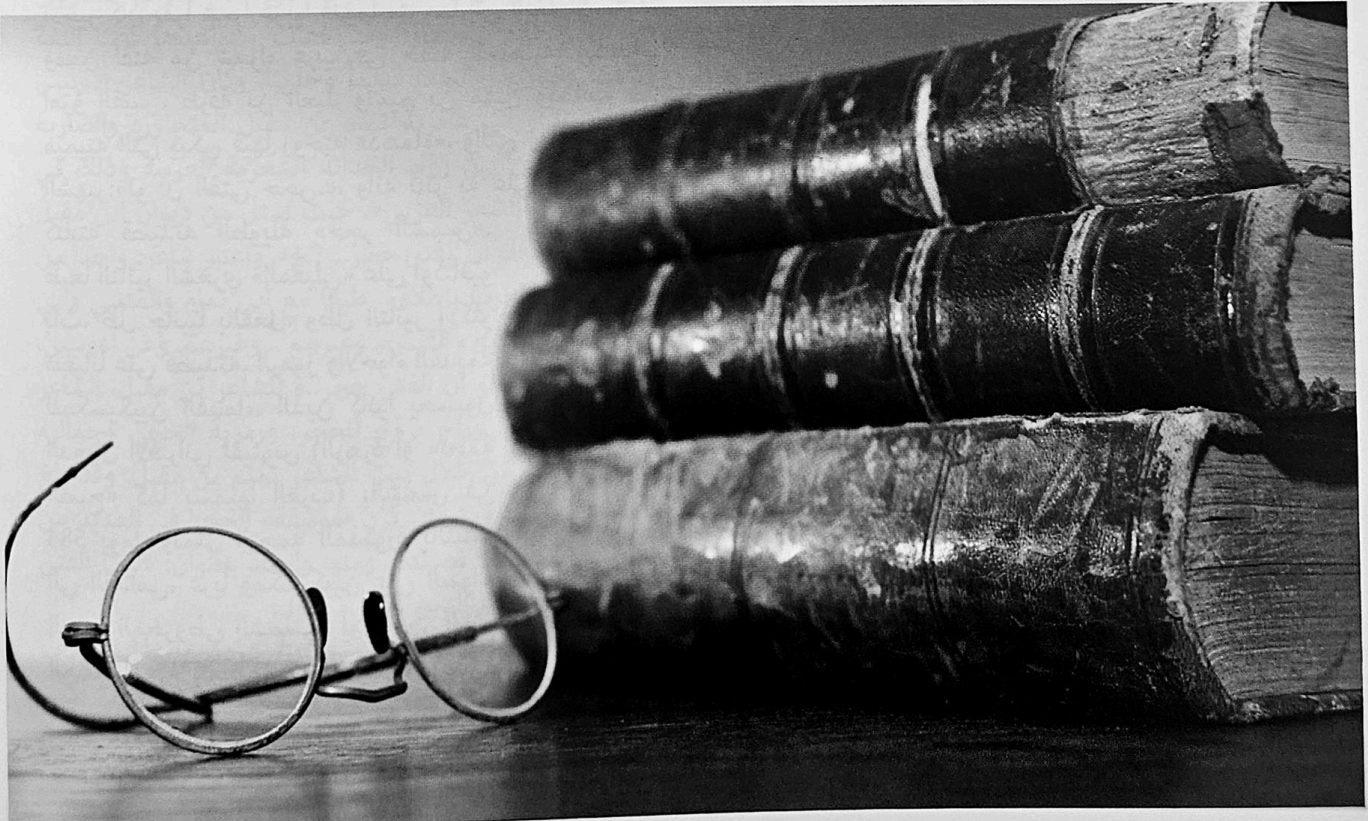
د. مني بونعام

متوهجة في داخله؛ فالقصيدة، كما يقول، «الخيمة التي أفيء إليها، والواحة التي أستريح في ظلها، مع اعترافي بأن الأمور الإدارية العملية، وهمي التراثي الخاص، قد أخذوا من الإبداع الكثير، إلا أنها ضريبة تهون أمام ما ينجز من مشروعات، نرى نتائجها في ما يخص تراثنا الجميل».

وبالعودة إلى البدايات الأولى التي زامنت بزوغ الشاعر وواكبت ظهوره وبروزه كواحد من ألمع الشعراء الشعبيين في الإمارات الذين اخترعوا لأنفسهم مساراً شعرياً مختلفاً، فإننا نصادف أن القراءة والحفظ هما الرمز السري والفانوس السحري في هذه التجربة المتميزة، حيث يقول: «تعلقت بالقصيد حفظاً أولاً في مرحلة مبكرة من طفولتي، وكنت أتبارى مع أقارب وأصدقاء في ذلك المجال، إلى أن دفعتني أحاسيس مختلطة في سن الثالثة عشرة، عتاباً لصديق، أو ربما عاطفة بريئة، ومشاعر صغيرة، إلى التعبير عنها في شكل مموسق منغم، ومازلت أحتفظ بكشكول قديم شهد محاولاتي الأولى، وأعود إليه من حين إلى آخر».

تتكئ تجربة الشاعر عبد العزيز المسلم على تراكم شعري ثر تكون على مدى سنوات طوال، تشكّلت فيها - وعبرها - تجربة المسلم الشعرية المائزة لغةً وأسلوباً، وذلك ما تعكسه بجلاء قصائده الشعرية الأولى التي حلق فيها في عوالم الشوق والتوق، وسبح في غياهب الحب مع الصب، وتغنى فيها بالوطن وأمجاده ورموزه، فجاءت ساحرة وآسرة بلغة جميلة وأسلوب مائع، حاوية ألواناً شعرية متنوعة تحيل إلى ملمح فريد في تجربة الشاعر، كما تعبّر عن مكنن فتنة البوح فيها.

والحق أن المسلم شاعر ذو حسّ مرهف وذائقة متميزة وإن غلب على تجربته البحث في التراث وفنونه عن الشعر وشجونه، ويبدو ذلك، للرائي من الوهلة الأولى حين يقارن ما كتبه المسلم في الحكاية الشعبية والعادات القولية والأزياء التقليدية مع ما كتبه من شعر منشور، ومع ذلك يبقى الشعر الأكثر علوقاً في ذاكرة الشاعر والتصاقاً بشخصيته وتماساً مع سجيته، كما تظل روح الشعر





نشر المسلم أولى قصائده في مجلة «العهد» القطرية، خلال تلقيه الدورة التراثية في الدوحة، ثم توالى، بعد العودة إلى الإمارات، نشر العديد من القصائد في صحف ومجلات محلية عدة.

«سفر الليالي» (1990) كان الباكورة الأولى لأشعار المسلم المنشورة في ديوان، تلتها مجموعة شعرية بعنوان: «بقايا الليل» (1995)، ثم «طفولة حب وسلام» (1998)، و«لحظة» (2007)، وكم هائل من القصائد الرقيقة الشفافة، التي وقف فيها على مراتع المحبوبة، وجال في أرجاء الوطن، وهام وجداً بمراتع صباه التي نيطت فيها عليه التماائم، واستوقف الصَّحْب والخلان بعاطفة جيَّاشة ومشاعر متوقّدة وأحاسيس مرهفة.

وتحتوي «بقايا الليل» عدداً من القصائد المترعة بالإحساس الطافح والشعر الباذخ والعاطفة المتوقّدة والبوح الشفاف، صيغت مفرداتها بلغة جميلة تنتظم في عقد السَّهل الممتنع. ارتحل فيها الشاعر في عوالم وجدانية وعاطفية فسيحة، وحط رحاله على عتبات الشوق والتوق والحنين، الذي يئن تحت وطأة صرم الوصال والنأي والهجران، محيلاً القارئ إلى حالة من التوحد في المحبوب اسماً ورسماً، عاطفة ووجداناً، همساً وبوحاً، مفتتناً بالبوح الشفيف عما يخامره من أحاسيس.

ويمكن استقراء ذلك كلّ في قصائد: بقايا الليل، من جفاها ومن لفأها، ارحل، الضيا والليل، عيون الشوق، عنيد الحظ، رحيل الود، أحلام الليالي، في مغيب العاطفة، إحترق الصمت، هم، أحلام، تعال انسامح الماضي، منى شوقي، تعال، يا هنوف، اشركي، عيونك، رسالة، أنا الشادي، مسرح الدنيا، شروق، الزعل، احترق، الفراشة، قصة عذاب، الابتسام، قصة عن ذبابة.

وتمزج قصائد الديوان بين الوطنية والوجدانيات على نحو مائع وجميل، وتحثفي بمواطن شباب الشاعر ومراتع صباه، حيث نيطت عليه التماائم، وهذا ما تعكسه بجلاء قصائده في هذا الباب، وهي: (الوطن، إماراتي، أمني العمر، بلادي، رمز الإمارات، يا ديرتي،

شموخ الذكريات، محتار، أكتبي يا رض، عهد الصفا، ابتسم، يا كويتي.
يقول في قصيدة «الوطن»:
أول العمر الهنا شفته وطن
وأخر العمر الوطن أصبح هواي
كلما لاح السنا فيّه سكن
وارتسم حلم الطفولة في هنائي
وانغمس لحن الصفا ضمن الزمن
لا يفارقني ولا يقبل جفاي



تتكلم تجربة الشاعر عبد العزيز المسلم على تراكم شعريّ ثر تكوّن على مدى سنوات طوال، تشكّلت فيها - وعبرها - تجربة المسلم الشعرية المائزة لغة وأسلوباً، وذلك ما تعكسه بجلاء قصائده الشعرية الأولية التي خلّق فيها في عوالم الشوق والتوق، وسبح فيه غياهب الحب مع الصّب، وتغنّى فيها بالوطن وأمجاد ورموزه، فجاءت ساحرة وأسرة بلغة جميلة وأسلوب مائع

إلى أن يقول:

بدفع بروحي لمربايه ثمن

والزّباحه عزّ داري وانتماي

الهنا في أول العمر الوطن

وأخر العمر الوطن غاية مناي

كما تتمظهر تلك المضامين الجميلة التي تتناغم فيها العاطفة الصادقة مع الحكمة والتأمل، في قصائد: بدون عنوان: قرّة عيون، العيد، ليش، كل عيد، جنا، الدنيا الجميلة، كهوف، بشرى، نجوم.

أما ديوان «لحظه» فهو تعبير عن مكنونات الشاعر وما يخالجه نفسه من أحاسيس صاغها في رباعيات شعرية حاوية الكثير من المعاني الجميلة والمتنوعة، ومنها رباعيات وجدانية، وثنائية، وفكاهية، جمعت في عمومها جزالة اللفظ وسلاسة الأسلوب وعمق المعنى وجمال المبنى، يقول في رباعية «عاشق الورد»:

أشكيك أنا للورد يا عاشق الورد

مدري خدودك ورد والأشفاك

ترسم دفا الأيام في صفحة البرد

وتلوّن الأحلام روعة بهاتك

ارحم قلوب الناس بيدك حجر نرد

بعثرتها أهات تحمل صفاتك

لو قلت يا ورد ما أبيع أنا الورد

يفضحك عطر الورد عطر عباتك

شهدت تجربة الشاعر أطواراً كثيرة طبعتها بطابع التميّز والفردية وأضفت عليها بصمة خاصة تميّزت بها أشعاره، وتمثّل قصيدة: «وهل تعلم» نسيجاً جامعاً لما تعالق في نفس الشاعر وخامر إحساسه من مشاعر لخصها في جمل شعرية مترعة الإحساس.

السؤال مفتتح القصيدة ومنتهاه، وهو حالة من الارتهاان الحسي والوجداني للمحبيب والتعلّق به مع حيرة دائمة تلازم الشفاه وتلاعب الوجدان بسؤال ما إن ينتهي حتى يعنّ آخر الوجود، لذلك يبتدئ كل بيت من القصيدة بالسؤال (وهل تعلم) ليفتح الشاعر نفسه على احتمالات لا تنتهي لها، من خلال بوح شفيف بما يخامر النفس ويجيش في الخاطر، وهو نوع من تسلية النفس وسط زفرة الشوق المتقد، يقول:

وهل تعلم بأن الشوق مأساتي

وأن اللي يواصلني ترا يرجم

وهل تدري بأن اسمك معاناتي

اهيم بكل معنى فيه واتألم

وهل تفهم أنيني وانكساراتي

أنا كلي مشاعر فيك تترنم

ويستحضر الشاعر في القصيدة العديد من مفردات الألم والآهات والأثبات الدالة على حرارة عاطفته وتباريح أشواقه ومرارة معاناته، هائماً في ملكوته الخاص، ومن بينها: «مأساة، معاناة، ألم، انكسارات، حزن، نهاية..»، وتحيل هذه المفردات في عمومها إلى حالة من الارتهاان

للمحبيب، والطمع في نيل رضاه، والتماس وصاله وأمل لقيائه، وتتجلى تلك الحالة في مظاهر عدة تفتح أشعرتها على احتمالات كثيرة تبدأ بالتعلّق بالأمل وسط الألم، وتوصيف الحال وما آل إليه بسبب الهجران والصدود والإعراض، مستغرقاً في الإمعان في التوصيف، ومستخدماً عبارات تشي بحجم معاناته؛ فالحلم، يستحيل إلى مسافة بعيدة وسراب بقية يبدد الأمل في الوصال، يقول الشاعر:

وهل تدني مدى حلمك لحالاتي

حوى قلب المعنى منك ما يعدم

وهل ترسم تباريحي وآهاتي

على ضفة مسير عاطفه معلم

وهل يبعد غرامك لي مسافاتي

فلا حتى السراب القاه لي مغنم

ما بين الحلم والسراب مسافات من الاحتمالات المفتوحة والأبواب المشرعة على كل صوب، لكنها لا تجدي نفعا في نظره للتسلية عن حاله، فيلجأ - من فرط إحساسه - إلى البحث عن الخلاص في النهاية، علّه يكون أرحم له إزاء ما يعانيه ويكابده من حرقة وعذابات، لم يعد ينفع معها استجداء الوصال، حيث يقول:

وهل احلم بأنني فاحتمالاتي

اغيّر من تعابيري ولا أندم

وهل حزني غدا من بد عاداتي

يسامر وحدتي و لغنوتي ملهم

وهل تعلن وفاتي في نهاياتي

عليك الله أعلنها بقول اسلم

والحق أن القصيدة تنكئ على إرث شعري عميق يعكس ملامح من تجربة الشاعر الممتدة عبر سنوات طويلة، غنائية بلغتها الماتعة وأسلوبها الجميل وتعبيرها الراقي المعبر عما يجيش في النفس ويدور في الخلد من مشاعر وأحاسيس سامية تنتاب الشاعر في الخلوات والجلوات، طافحة بالحب الجامح والشوق الطافح والبوح الصادق ■

